سلسلة الأبحاث المحكمة (٣٣)

إصدارتنا الرقمية (٣٣)

مدح السعي وذم البطالة

لابن كمال باشا

دراسة وتحقيق

للأستاذ الدكتور

صلاح محمد أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي

بجامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان - الأردن



مدح السعي وذم البطالة ....

.... دراسة وتحقيق



الطبعة الرقمية الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

إصدار

مركز أنوار العلماء للدراسات

التابع

لرابطة علماء الحنفية العالمية

World League of Hanafi Scholars

جوال: 00962781408764

البريد الإلكتروني: anwar_center1995@yahoo.com

مدح السعي وذم البطالة

لابن كمال باشا

دراسة وتحقيق

للأستاذ الدكتور صلاح محمد أبو الحاج

عميد كلية الفقه الحنفي

بجامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمان، الأردن

مركز أنوار العلماء للدراسات



❋ نشر في مجلة المدونة التابعة لمجمع الفقه الإسلامي في الهند.

ملخص البحث:

هذه رسالة مختصرة لأحد شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، ابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ)، تحدثتُ فيها عن قضيّةِ الكسلِ التي يُعاني منها أكثر النّاس، ولا سبيل للإنسان للنّجاح في حياته وآخرته إلا بالتَّخلص منها، حيث سلك المؤلِّف فيها منهجاً لطيفاً في توضيح الفكرة بذكر الآيات والآثار والأحكام التكليفية ونقولات عن بعض الحكماء، وهي مع شدّة اختصارها اشتملت على معاني وفوائد عديدة ممّا دفعني للعناية بها وتحقيقها ليعمّ وينتشر بين الباحثين، وقدَّمت لها بترجمة قصيرة عن المؤلّف، ودراسة عن الرسالة، وعلَّقت عليها بما تحتاجه من توضيح.

* * *

Praise seeking and dispraise unemployment

Study and investigation

Research Summary:

This brief message to one of the elders of Islam in the Ottoman Empire, Ibn Kamal Pasha (d. ٩٤٠ AH), in which I spoke about the issue of laziness experienced by most people and there is no way for a person to succeed in life unless he get rid of it, where the author approach a nice way to clarify the idea by citing the qura`n verses, prophetic tradition, and sayings of some scholars. which is with the severity shortened included many benefits and meanings which prompted me to take care of them and study them to prevail and spread among researchers. I presented it with a short translation of the author, and a study of the letter. I commented on what it need to be clarified.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنَّ هذه أمّة الإسلام لمّا استضاءت بنور ربّها، ملأت الدّنيا خيراً، وسطع ضوؤها في أرجاء الأرض، وملأتها بالخيرات، ومن هذه الخيرات تلك المخطوطات التي كتبها عظماؤها وأئمتها، وما زالت رهينة حبيسة لا ينتفع منها، فما أحوجنا إلى الاسترشاد بها والاقتباس بنورها.

وفي هذا البحث نتناول إحدى هذه المخطوطات، وهي رسالة «مدح السعي وذم البطالة» لابن كمال باشا، فمع صغرها لكنَّها احتوت فوائد تنير طريق مَن قرأها.

ومشكلة الدراسة: في بيان صحة نسبة المخطوط إلى مؤلفه، وصحة اسمه؟ وكيف يُمكن إخراج المخطوط على ما أراده وكتبه المؤلف؟ وفي

كيفية خدمة نص الكتاب بشرح غوامضه وعزو معلوماته، وتخريج أحاديثه؟.

وأهمية الدراسة ومبرراتها: بإثراء المكتبة الإسلامية من خلال تحقيق هذا الرسالة، وإخراج رسالة مفيدة لعالم كبير من شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، وبيان فضل علماء الأمة المتقدمين وما قدَّموه لها من جهد يعظم الأمانة على اللاحقين وأدائها بما يتناسب مع ذلك الجهد.

والدّراسات السابقة: لم يسبق لهذه الرسالة في حدود علمي أن تناولها الباحثون بالتحقيق أو الدراسة، وذلك بعد البحث والتحري قدر الجهد والطاقة، وبالتالي ظهرت الحاجة جليةً لتحقيق هذا الرسالة.

ومنهجية البحث: هي المنهج الاستردادي التاريخي بكتابة حياة هذا المؤلف وجهوده العلمية وتحقيق نصّ الكتاب.

والمنهج المتبع في التحقيق:

١. نسخ الكتاب، وضبطه، ومُقابلته على عدد من النّسخ، وإثبات الفروق بينها.

٢. اعتماد منهج النّسخة الصواب في المتن وليس النّسخة الأم، بإثبات ما هو الصواب في المتن عند المقارنة بين النّسخ، وأما الفروق ففي الهامش.

٣.وضع الكلمة أو الجملة السَّاقطة إذا سقطت في بعض النُّسخ بين معكوفتين [ ]، والإشارة إلى النُّسخ الّتي كان السَّقط فيها في الهامش.

٤.الالتزام في كتابة الكلمات بالرسم الإملائي الحديث، وإن خالف رسم المخطوط، مع وضع علامات الترقيم المناسبة، وتفصيل عباراته إلى مقاطع صغيرة على حسب ما يقتضيه المعنى.

٥.اعتماد طريق التحشية في خدمة الكتاب: بعزو من الآيات والتعريف بالكتب، وتخريج الأحاديث الشريفة والآثار وبيان معاني المفردات والجمل التي تحتاج توضيح، والترجمة لما ورد فيه من الأعلام، والتعليق على المسائل بقدر الحاجة.

٦.توثيق النصوص المنقولة.

وتحقيقاً للمقصود قسمت البحث على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: في ترجمة المؤلِّف.

والمبحث الثاني: في دراسة عن الرسالة.

والمبحث الثالث: في النصُّ المحقَّق.

سائلاً المولى عز وجل التوفيق والسداد.

* * *

المبحث الأول
في ترجمة المؤلِّف

الكلام عن هذا الإمام العظيم متشعبٌّ وطويل، ولا يسعنا في هذا المقام إلا الإشارة إلى نبذه يسيرة عنه؛ لأنَّ التفاصيل تستغرق عشرات الصفحات، فنذكر هذه النفحات في النقاط الآتية:

أولاً: نسبه وولادته ومذهبه:

اتفق من ترجم له[1] على أنَّ اسمه أحمد، إلا جرجي زيدان[2] فسمّاه: محمّد بن أحمد.

واتفق مَن ترجم له[1] على ذكر اسم أبيه واسم جده، وهما: سليمان بن كمال باشا.

---

(١) ينظر: «الشقائق»(ص٢٢٦)، و«كتائب أعلام الأخيار»(ق٣٩٧/ ب)، و«الطبقات السنية»(١: ٣٣٥)، و«الكشف»(١: ١: ٥٤)، و«رد المحتار»(١: ٢٧)، و«هدية العارفين»(١: ١٤١)، و«الفوائد البهية»(ص٤٢)، و«الأعلام»(١: ١٣٠)، و«معجم المؤلفين»(١: ١٤٨)، وغيرها.

(٢) في «تاريخ آداب اللغة العربية»(٣: ٣٢٧-٣٢٨).

وجدُّه: كمال باشا كان من أمراء الدولة العثمانية[٢].

وينسبه بعض من يترجم له بالرُّوميّ[٣]؛ وذلك لأنّه تركيّ الأصل[٤].

ولقبه كما في الكتب التي تناولت ترجمته[٥]: شمس الدين، ثم أنَّه رحمه الله تعالىٰ تولَّىٰ منصبَ الإفتاء في الدولة العثمانية، وهو أعلىٰ المناصب الدينية، ومن يتولاه يلقب: شيخ الإسلام[٦]، فلقِّب به.

وولد في طوقات من نواحي سيواس من بلاد الروم «تركيا»[٧].

---

(١) ينظر: «الشقائق»(ص٢٢٦)، و«كتائب أعلام الأخيار»(ق٣٩٧/ ب)، و«الطبقات السنية»(١: ٣٣٥)، و«الكشف»(١: ١: ٥٤)، و«رد المحتار»(١: ٢٧)، و«هدية العارفين»(١: ١٤١)، و«الفوائد البهية»(ص٤٢)، و«الأعلام»(١: ١٣٠)، و«معجم المؤلفين»(١: ١٤٨)، وغيرها.

(٢) ينظر: «الشقائق»(ص٢٢٦)، و«الكتائب»(ق٣٩٧/ ب).

(٣) ينظر: «هدية العارفين»(١: ١٤١)، و«معجم المؤلفين»(١: ١٤٨).

(٤) ينظر: «الأعلام»(١: ١٣٠).

(٥) ينظر: «الشقائق»(ص٢٢٦)، و«كتائب أعلام الأخيار»(ق٣٩٧/ ب)، و«الكشف»(١: ١: ٥٤)، و«هدية العارفين»(١: ١٤١)، و«الأعلام»(١: ١٣٠)، و«معجم المؤلفين»(١: ١٤٨)، وغيرها.

(٦) ينظر: «كتائب أعلام الأخيار»(ق٣٩٧/ ب)، و«هدية العارفين»(١: ١٤١)، و«الفوائد البهية»(ص٤٢).

(٧) ينظر: «معجم المؤلفين»(١: ١٤٨)، و«الكمال بن الهمام»(ص٢٧).

وكان مذهبه الفقهي هو المذهب الحنفي الذي كان المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وأما مذهبه العقدي فهو ماتريدي الاعتقاد نسبة إلى إمام الهدى أبي منصور الماتريدي الحنفي[1].

ثانياً: شيوخه وتلاميذه:

من شيوخه:

١. المولى لطف الله التوقاتي الرومي، الشهير مولانا لطفي[2].

٢. المولى مصلح الدين مصطفى القَسْطَلانيّ[3].

٣. المولى خطيب زاده، من مؤلفاته: «حاشية التجريد»[4].

٤. المولى معروف زاده[5].

ومن تلاميذه:

١. الأستاذ السيد محيي الدين محمد بن عبدالقادر، المشتهر بالمعلول[1].

---

(١) ينظر: «الشقائق»(ص٢٢٦)، و«كتائب أعلام الأخيار»(ق٣٩٧/ ب)، و«الطبقات السنية»(١: ٣٣٥)، و«هدية العارفين»(١: ١٤١)، و«الفوائد البهية»(ص٤٢)، وغيرها.

(٢) ترجمته في: «الشقائق النعمانية»(ص١٦٩-١٧١)، و«التعليقات السنية»(ص٤٢-٤٣).

(٣) ترجمته في «الشقائق النعمانية»(ص٨٧-٨٩)، و«التعليقات السنية»(ص٤٣).

(٤) ينظر: «الشقائق»(ص٨٣).

(٥) ينظر: «الشقائق»(ص٢٢٧).

٢. المولى محيي الدين محمد بن حسام الدين، الشهير بفزه جلبي[٢].

٣.المولى محمد بن عبد الوهاب بن المولى عبد الكريم[٣].

٤.محمود بن قانصوه المظفر المَكيّ.

٥.المولى محيي الدين محمد بن بير محمد باشا الجمالي[٤].

٦.المولى محيي الدين محمد بن عبد الله الشهير بمحمد بك[٥].

٧.المولى هداية الله ابن مولانا بار علي العجمي[٦].

٨.المولى عبد الكريم الويزوي[٧].

٩.المولى درويش محمد[٨]، كانت أمه بنت العالم الفاضل المولى سنان باشا.

١٠. المولى مصلح الدين مصطفى ابن المولى المنتشوي[٩].

---

(١) ينظر: ترجمته في: «الشقائق»(ص٢٨٩-٢٩٠)، و«الكتائب»(ق٣٩٨/ ب).

(٢) ينظر: «الشقائق»(ص٢٩٧-٢٩٨)، و«الكتائب»(ق٣٩٨/ ب).

(٣) ينظر: «الكتائب»(ق٣٩٨/ ب).

(٤) ترجمته في: «الشقائق»(٢٧٣-٢٧٤).

(٥) ترجمته في: «الشقائق»(ص٢٩٤-٢٩٥).

(٦) ترجمته في: «الشقائق»(ص٢٩٧).

(٧) ترجمته في: «الشقائق»(ص٣٠٢).

(٨) ترجمته في: «الشقائق»(ص٣٠٧).

(٩) ترجمته في: «الشقائق»(ص٣٠٧-٣٠٨).

ثالثاً: وظائفه:

ومن الوظائف التي شغلها:

١ .**التدريس:** فإنَّه درَّس في كثير من المدارس ومنهـا: مدرسـةِ عـليّ بك بأدرنه، و مدرسة أسكوب، والمدرسة الحلبية بأدرنه، ودرَّس بإحدى المدرستين المتجاورتين بأدرنه، ودرَّس بإحدى المدارس الثمان، ومدرسـة السلطان بايزيد خان بأدرنه، وتولى التدريس فيها مـرتين، إذ رأى سـليم خان أن يعطيه مدرسة جَده[1]، ومدرسة دار الحديث بأدرنه، ثُمَّ عاد إليـه السلطان بالإحسان مبتدراً لَمَا فطن أنَّ أمر الفتوى يكون متعذراً، فأعطـاه دار الحديث بأدرنة[2].

٢. **القضاء:** فإنَّه ولي القضاء بأدرنه، ثم قضاء العسكر المنصور في ولاية أناطولي[3].

٣. **الإفتاء:** فإنَّه صار مفتياً بمدينة قسطنطينية بعد وفاة المولى علاء الدين علي الجمالي سنة (٩٣٢هـ)، فعاش فيها فيه معززاً مكرماً محترماً

---

(١) ينظر: «كتائب أعلام الأخيار»(ق٣٩٨/ ب).
(٢) ينظر: «كتائب أعلام الأخيار»(ق٣٩٨/ ب).
(٣) ينظر: «الكتائب»(ق٣٩٨/ ب).

مقبولاً عند الخاص والعام، ونالت عقود الفضل في زمانه حسن النظام[1]، واستمر فيها إلى آخر عمره.

رابعاً: مؤلفاته والثناء عليه:

كان رحمه الله تعالى من العلماء الذين صَرَفوا جميعَ أوقاتهم إلى العلم، وكان يشتغلُ بالعلمِ ليلاً ونهاراً، ويكتبُ جميعَ ما لاحَ بباله الشريف، وقد فَتَرَ الليل والنهار، ولم يَفْتَرْ قلمُه، وصنف رسائل كثيرة في المباحث المهمَّة الغامضة، وكان عدد رسائله قريباً من مئةِ رسالة، وله من التصانيف[2]:

«تفسير القرآن العزيز» ولم يكمله، و«شرح العشر في معشر الحشر»، و«الأربعون في الحديث»، و«شرح حديث الأربعين»، و«أشكال الفرائض».

---

(١) ينظر: «الكتائب»(ق٣٩٨/ ب).

(٢) ينظر: مصادر مؤلّفات ابن كمال: «الطبقات السّنية»(١: ٣٥٦)، و«الشقائق»(ص٢٢٧)، و«رد المحتار»(١: ٢٧)، و«الكشف»(١: ٤٣٩)، و«هدية العارفين»(١: ١٤١)، و«بريقة محمودية»(٤: ١٥٣)، و«معجم المؤلفين»(١: ١٤٨)، و«مجموع رسائله المطبوعة»(١: ٨٧) وما بعدها، و«مجموع رسائله المخطوطة»(ق٥٧) وما بعدها، و«حاشية العطار»(١: ٤١٥)، و«الشُّرُنبلاليّة»(١: ١٣٩)، و«مجمع الأنهر»(١: ١٩٥-١٩٦)، و«الأعلام»(١: ١٣٠)، و«منحة الخالق»(٣: ٦٧)، و«الكتائب»(ق٣٩٨/ ب)، و«تنقيح الفتاوى الحامدية»(٢: ٣٣٣)، و«الفوائد»(ص٤٣).

و«رسالة في حقِّ أبوي النبي ﷺ»، و«رسالة في حقِّ الشهداء»، و«رسالة في الشخص الإنساني».

و«حواش على الكشاف»، و«حاشية على شرح السيد للكشاف»، و«حاشية على شرح المواقف» في الكلام.

و«شرح الهداية» لم يكتمل. و«الفتاوى»، و«فريدة التحري»، و«الفلاح في شرح المراح»، و«الإصلاح»، «الإيضاح شرح الإصلاح»، و«تغيير التنقيح»، و«شرح تغيير التنقيح».

قال التميمي[1]: «له رسائل كثيرة في فنون عديدة، لعلَّها تزيد على ثلاثمئة رسالة، وفاق في الإنشاء بالعربية والفارسية والتركية، كان له منها حظّ جزيل، وفيها باع طويل، وكل مؤلفاته مقبولة، مرغوب فيها، متنافس في تحصيلها، متفاخر بتملك الأكثر منها، وهي لذلك مستحقة، وبه جديرة».

وقال الكفوي[2]: «وكل تصانيفه مشهورة مقبولة بين الأعيان متداولة بين أهالي الزمان، وكان عدد رسائله قريباً من مئة رسالة كل منها جامعة لفوائد عامة العوائد، وهذه المذكورات ما شاعت بين الناس، وأما ما بقي في المسوّدة فأكثر مما لا يحصى تفرقته الأيادي».

---

(١) في «الطبقات السنية»(١: ٣٥٦-٣٥٧).

(٢) في «الكتائب»(ق٣٩٩/ أ).

ومن ثناء العلماء عليه:

قال طاشكبرى زاده[1]: وكان صاحبَ أخلاقٍ حميدةٍ حسنة، وأدبٍ تامّ، وعقلٍ وافر، وتقريرٍ حَسَن ملخص، وله تحرير مقبولٌ جداً لإيجازه مع وضوح دلالته على المراد، وبالجملة: أنسى رحمه الله تعالى ذكر السلف بين الناس، وأحيا رباع العلم بعد الإندراس، وكان في العلم جبلاً راسخاً، وطوداً شامخاً، وكان من مفردات الدنيا، ومنبعاً للمعارف العليا، روَّح الله تعالى روحه وزاد في غرف الجنان فتوحه.

وقال التّميميّ: الإمام، العالم، العلامة، الرُّحْلة، الفَهَّامة، أوحدُ أهل عصره، وجمالُ أهلِ مصره، مَن لم يُخْلِف بعده مثلَه، ولم تَرَ العُيُونُ مَن جمع كمالَه وفضلَه، كان رحمه الله تعالى، إماماً بارعاً، في التفسير، والفقه، والحديث، والنحو، والتصريف، والمعاني، والبيان، والكلام، والمنطق، والأصول، وغير ذلك، بحيث إنه تفرَّد في إتقان كلِّ علم من هذه العلوم، وقَلَّمَا يوجدُ فنٌّ من الفنون إلا وله مصنَّف أو مصنَّفات.

وقال ابن عابدين[2]: الإمام العالم العلامة الرحلة الفهامة، كان بارعاً في العلوم، وقلَّمَا أن يوجد فنٌّ إلا وله فيه مصنَّفٌ أو مصنَّفاتٌ[3].

---

(١) في «الشقائق»(ص٢٢٧).

(٢) في «رد المحتار»(١: ٢٧).

(٣) ينظر: «الأعلام»(١: ١٣٠).

ومات رحمه الله رحمة واسعة سنة أربعين وتسعمئة[1].

* * *

(١) ينظر: «الشقائق»(ص٢٢٧)، و«الطبقات السنية»(١: ٣٥٥)، و«رد المحتار»(١: ٢٧)، و«الفوائد»(ص٤٣)، و«هدية العارفين»(١: ١٤١)، و«الأعلام»(١: ١٣٠).

المبحث الثاني
دراسة عن الرسالة

أولاً: تحقيق اسم الرّسالة:

سمّاها ابنُ كمال بـ«مدح السّعي وذمّ البطالة» في مقدمة رسالته، وذكرها بهذا الاسم البابانيّ(١)، وذكرها حاجي خليفة(٢) باسم قريب منه، وهو «رسالةٌ في السّعي والبطالة»، وفي «خزانة التراث»(٣) باسم: «رسالة في مدح السعي وذم البطالة».

والرّاجح أنَّ اسمها ما أثبته مؤلّفها في بدايتها، وهو أولى ممّا يذكره غيرُه بلا شَكّ، وما ذُكِر من أَسماء أُخرى من قبل المترجمين فهو على سبيل الوصف لها بأنّها رسالة وأنّها في السّعي والبطالة، ولم يذكر على سبيل أنّه اسم لها.

ثانياً: صحّة نسبة الرّسالة لابن كمال:

في النسخ المخطوطة للرّسالة نسبت لابن كمال باشا، ونسبها له إليه حاجي خليفة(٤) والبابانيّ(٥)، وغيرهما.

---

(١) في هدية العارفين١: ١٤٢.

(٢) في كشف الظنون٢: ٨٧٢.

(٣) خزانة التراث رقم التسلسل: ١١٥٩.

(٤) في كشف الظنون٢: ٨٧٢.

(٥) في هدية العارفين١: ١٤٢.

ولم أقف على أحد نسبها لغيره.

ووجدت رسالة أخرى في مدح السعي اسمها: «البركة في مدح السعي والحركة» لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد الحيشي اليمني الشافعي، جمال الدين، (٧١٢ـ٧٨٦هـ)[1]، وهي مختلفة عن رسالتنا.

ثالثاً: منهج المؤلف:

تكلّم ابن كمال فيها عن مسألة في غاية الأهمية، وهي قضية الكسل التي يعاني منها أكثر الناس، ولا سبيل للإنسان للنجاح في حياته وآخرته إلا بالتخلص منها، وبقدر سعي المرء واجتهاده يكون تميزه وظهوره وتحقيقه لرسالته الدنيوية والأخروية بعد توفيق الله تعالى.

وسلك المؤلِّف منهجاً لطيفاً في توضيح الفكرة، فذكر آيات قرانيّة تحثُّ على السَّعي والجدّ، وفسّرها باختصار.

وذكر بعض الآثار الدالة على السعي في طلب الرزق.

وذكر الأحكام التكليفية في التكسب من الراغب الاصفهاني.

ونقل عن الجنيد ذم التهرب من التكسب بإظهار طلب العلم.

ونقل حكماً عن بعض الملوك والحكماء مثل: بزر جمهر وأبو مسلم الخرساني وأردشير والدؤلي تحض على الهمة والنشاط وترك الكسل.

---

(١) ينظر: كشف الظنون١: ٢٤٠، وهدية العارفين٢: ١٧١.

ودفع توهم فهم قوله تعالىٰ: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} آل عمران: ١٥٩ أن يكون المقصود بها التواكل والكسل.

وختمّ الرسالة بتفسير قوله تعالىٰ: {وأن ليس للإنسان إلا ما سعىٰ} النجم: ٣٩، وأنَّ معناها: لا أجر للإنسان إلاّ أجرَ عمله كما لا وزر له إلاّ وزر عمله.

رابعاً: موضوع الرسالة:

تتحدَّث الرسالة عن السعي والنشاط والهمّة، وإكمالاً لما بدأ به المؤلّف أُضيف بعض الفوائد متعلّقة بعلوّ الهمة.

فالهِمّة بالكسر: أول العزم، وقد تطلق علىٰ العزم القوي فيقال: له همّة عالية(١).

فعلوّ الهمّة منبعُ السِّعادة الدُّنيوية والأُخروية؛ إذ بها يَنال المرء مقصده في دنياه، ورضا ربه في أخراه، فبالهمّة العالية تهون الصعاب، وتصغر العظائم، فهي أساس النجاح في كلِّ أمر، وهذا ما أشار إليه الله ﷻ: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}** العنكبوت: ٦٩.

قال العلامةُ ابنُ الجوزي ﵁: «تأمَّلت سبب الفضائل فإذا هو علو الهمّة وذلك أمرٌ مركوز في الجبلة لا يحصل بالكسب وكذلك خسّة الهمّة وقد قال الحكماء: تعرف همّة الصبي من صغره فإنه إذا قال للصبيان: مَن

---

(١) ينظر: «المصباح المنير»(ص٦٤١).

يكون معي؟ دلّ على علوّ همّتها وإذا قال: مع مَن أكون؟ دلّ على خسَّتها))[١].

فعلوّ الهمّة باعثٌ على أفضل الأعمال وأحسنها، والابتعاد عن أرذلها وأخسّها، قال ﷺ: «إنَّ الله يحبّ معالي الأمور وأشرافها ويكره دنيها وسفاسفها»[٢]، وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال: «لا تصغرن همّتكم فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم». وقال بعض الحكماء: «الهمة راية الجدّ». وقال بعض البلغاء: «علو الهمم بذر النعم»[٣].

فالهمّة هي المحفز والمسيِّرُ لصاحبها حتى قالوا: «فالذي يسيِّرُ العبد بإذن ربه إنَّما هو همّته، والهمّة إذا علت وارتفعت لم تلحقها القواطع والآفات كالطائر إذا علا وارتفع في الجو فات الرماة ولم يلحقه الحصا ولا البنادق ولا السهام، وإنَّما تدرك هذه الأشياء للطائر إذا لم يكن عالياً، فكذلك الهمّة العالية، قد فاقت الجوارح والكواسر، وإنَّما تلحق الآفات

---

(١) ينظر: «الفروع»(١: ٥٣٤).

(٢) ينظر: «المعجم الكبير»(٣: ١٣١)، و«المستدرك»(١: ١١٢)، و«المعجم الأوسط»(٣: ٢١٠)، و«مسند الشهاب»(٢: ١٥٠)، وصححه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»(٣: ١٨٨)، وغيره.

(٣) ينظر: «أدب الدنيا والدين»(ص٣١٩).

والــدواعي والإرادات الهمّــة النازلــة، فأمّــا إذا علــت فــلا تلحقهــا الآفات»[1].

وكلّـما ارتفعـت الهمّـة عـلا شـأن صـاحبها، وارتقـت نفسـه عـن الصغائر؛ «لأن علو الهمّة وصدق الإرادة والطلب من كمال الحياة، فهـو سببٌ إلى حصول أكمل الحياة وأطيبها، فإن الحياة الطيبة إنما تنال بالهمّـة العالية والمحبة الصادقة والإرادة الخالصة، فعلى قدر ذلك تكـون الحيـاة الطيبة، وأخسّ الناس حياة أخسّهم همّة، وأضعفهم محبّة وطلبـاً، وحيـاة البهائم خيرٌ من حياته...»[2].

وطريق تحقيق الهمّة العالية هو الإخلاص لله ﷻ في القول والعمـل حتى قيل: «لقاح الهمّة العالية: النيّة الصحيحة فـإذا اجتمعـا بلـغ العبـد غاية المراد»[3]؛ «لأن همّة العبد إذا تعلّقت بالحقّ ﷻ طلباً صادقاً خالصـاً محضاً، فتلك هي الهمّة العالية التي لا يتمالك صاحبها: أي لا يقـدر عـلى المُهْلَة[4]، ولا يتمالك صبره لغلبة سلطانه عليه وشدّة إلزامهـا إيّـاه بطلـب

(١) ينظر: «طريق الهجرتين»(١: ٣٥٢).
(٢) ينظر: «مدارج السالكين»(٣: ٢٦٣).
(٣) ينظر: «الفوائد»(١: ٢٠٠).
(٤) المُهْلَــة: مــن المَهــل وهوالتُّــؤدة والرفــق، وتمهَّــل في الأمــر: اتَّــأد فيــه. ينظــر: «المغرب»(ص٤٤٩).

المقصود، ولا يلتفت عنها»[١]؛ ولذلك قيل: «لا تكون الروح الصافية إلا في بدن معتدل، ولا الهمّة العالية إلا في نفس نفيسة»[٢].

والنفس الشّريفة التّواقة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية، وإنما همّته المسابقة إلى الدرجات الباقية الزاكية التي لا تفنى ولا يرجع عن مطلوبه، ولو تلفت نفسه في طلبه ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه، حتى قيل لبعض المجتهدين في الطاعات: لم تعذِّب هذا الجسد؟ قال: كرامته أريد.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: إنَّ لي نفسا توَّاقة ما نالت شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، وإنّها لما نالت هذه المنزلة يعني الخلافة، وليس في الدنيا منزلة أعلى منها تاقت إلى ما هو أعلى من الدنيا يعني الآخرة[٣].

---

(١) ينظر: «مدارج السالكين»(٣: ٣).
(٢) ينظر: «بدائع الفوائد»(٣: ٧٥٠).
(٣) ينظر: «لطائف المعارف»(١: ٢٦٨).

خامساً: وصف مخطوطات الكتاب وأماكنها:

كثرت النسخ المخطوطة للكتاب في مكتبات العالم، ومنها:

في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، السعودية، الرياض، رقم: ٠٢١٠٧-٣، ٠٤٦١٩-٩، ٠٩٠٤٧-٧، ب ١٠١٩١.

ومكتبة قليج علي، تركيا، استانبول، رقم: ١٠٢٨/ ٨.

ومكتبه الاوقاف، الموصل، العراق، رقم: ٢٩٦ (١٢).

ومكتبة الملكيه (مكتبه الدوله)، المانيا، برلين، رقم: ٥٤١٣.

ومكتبة القيصريه، النمسا، فيينا، رقم: ١٩١٩/ ١٤.

ومكتبة اكاديميه ليدن، هولندا، ليدن، ٢١٧١/ ٣.

ومكتبه برنستون، الولايات المتحده الامريكيه، برنستون، رقم: ٨٤٦.

والمكتبه المركزيه، جده، رقم: ١٣/ ٣ مجاميع.

ومكتبة معهد المخطوطات العربيه، مصر، القاهره، رقم: عن مكتبه البلديه بالاسكندريه ٣٧٩١ ج (٢٤)، ٢١٢ عن البلديه ٣٧٩١/ ٢٤ ج.

واقتصرتُ في تحقيق الرّسالة على نسختين لحصول الكفاية بهما، وحتى لا أثقل حواشي الكتاب بالفروق طالما أنَّ النصَّ تمّ ضبطه، وهما:

النسخة (أ):

وهي نسخة لمدح السعي ضمن مخطوطات جامعة القاهرة برقم (٢١٢٥٤)، وتقع في ثلاثة أوراق، وتحتوي كل صفحة (٢٥) سطراً، وهي بخط معتاد جيد.

النسخة (ب):

وهي نسخة لمدح السعي ضمن مخطوطات مكتبة الملك عبد الله بن عبد العزيز جامعة أم القرىٰ (٢١٢٥٤)، وتقع في ورقتين، وتحتوي كل صفحة (٢٧) سطراً، وهي بخط معتاد جيد.

سادساً: صور النسخ المخطوطة المعتمد عليها في التحقيق:

الصفحة الأولى والأخيرة من النسخة (أ)

الصفحة الأولى والأخيرة من النسخة (ب)

المبحث الثالث
النّص المحقق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي عَلَّمَنا وجوه المكاسب(١)، وأَلْهَمَنا دقائقَ الصَّنائع، والصَّلاة والسَّلام على محمَّد خاتمِ أصحابِ الشرائع عليهم السلام، وعلى آله الكرامِ وصحبِه العظام.

وبعد:

فهذه رسالةٌ معمولةٌ في:

«مدح السعي وذم البطالة»

قال الله تعالى: **{وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى}** النجم: ٣٩.

وقال صاحب «التَّيسير»(٢) في تفسير قوله تعالى: **{فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ}** الجمعة: ١٠: أي

(١) في أ: «المناسب».

(٢) في ب: «التبيين».

«التيسير في التفسير»: لعمر بن محمد بن أحمد لُقْمان النَّسَفِيّ السَّمَرْقَنديّ الحنفي، أبي حفص، نجم الدين، مفتي الثقلين، قال السمعاني: كان فقيهاً فاضلاً محدثاً مفسراً أديباً متقناً قد صنف كتباً في التفسير والحديث والشروط، من مؤلفاته: «العقائد النسفية»، و«الإشعار بالمختار من

طالبينَ المعاشَ الذي فيه قوامكم، وفَضلِ اللهُ: رزقَ الله الذي[1] تفضَّلُ بـه على عباده، وأباحَه بالبيعِ والتجاراتِ المشروعة.

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه[2]، قال: «إذا انصرفت من الجمعة فاخرج من المسجدِ فساوم شيئاً بالشَّيء، وإن لم تشتره».

ونحن نقول: لا خلافَ في أنَّ طلبَ الرِّزقِ مشروعٌ، قال ﷺ: «**اطلبوا الرزق في خبايا الأرض**[3]»[4]، إنَّما الكلامُ في أنَّ بعضَ الطَّلبِ هل

الأشعار»، و«تطويل الأسفار لتحصيل الأخبار»، و«نظم الجامع الصغير»، (٤٦١-٥٣٧هـ). ينظر: «الجواهر المضية»(٢: ٦٥٩-٦٦٠)، و«معجم الأدباء»(١٦: ٧٠-٧١)، و«تاج التراجم»(ص٢١٩-٢٢٠)، و«طبقات المفسرين»(٢: ٥-٧)، و«الفوائد البهية»(ص٢٤٣-٢٤٤).

(١) «الذي»: زيادة من ب.

(٢) وهو سعيد بن جُبَير الأسدي الوالبيّ الكوفي، قال أحمد: قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه، قال ابن حجر رضي الله عنه: ثقة ثبت فقيه، قتل بين يدي الحجاج سنة (٩٥هـ). ينظر: «العبر»(١: ١١٢)، و«التقريب»(ص١٧٤)، و«الأعلام»(٣: ١٤٥).

(٣) ومعناه: الحرث وإثارة الأرض بالزراعة. ينظر: الآداب للبيهقي١: ٣١٧، والمبسوط٣٠: ٢٥٩.

(٤) فعن عائشة رضي الله عنها في مسند أبي يعلى ٧: ٣٤٧، وشعب الإيمان ٢: ٨٧، وفي لفظ: «التمسوا الرزق في خبايا الأرض» في المعجم الأوسط ١: ٢٧٤، ومسند الشهاب ١: ٤٠٤.

يدخلُ في حدِّ الفرضِ[١] أم لا[٢]؟

قال الإمامُ الرَّاغبُ[٣] في «الذَّريعـة»: «التكسُّـبُ في الـدنيا وإن كـان معدوداً من المباحات من وجهٍ[٤]، فإنَّه من الواجباتِ من وجهٍ؛ وذلك أنَّه

---

(١) قال الرازي في تحفة الملوك ص٣١١: «طلب الكسب فرضٌ: وهو كسبُ أَقلِّ الكفايةِ لنفسِه وعيالِهِ وقضاءِ دَينه»؛ لأنَّه سببٌ يتوصَّل به إلى إقامةِ الفرض، فيكون فرضاً، وإن أطيب ما أكل الرجل من كسب يده، كما في منحة السلوك ٣: ٢٩٣، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال ﷺ: «إنَّ أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإنَّ أولادكم من كسبكم» في سنن الترمذي ٣: ٦٣٩، وصححه، وسنن ابن ماجة ٢: ٧٦٨، ومسند أحمد ٢: ١٧٩، وغيرها. ومن الوعيد الذي جاء في الدَين، ما روي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال ﷺ: «إنَّ أعظم الذنوب عند الله أن يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها أن يموت رجلٌ وعليه دَينٌ لا يدع له قضاء» في سنن أبي داود ٢: ٢٦٦، ومسند أحمد ٤: ٣٩٢.

(٢) فطلب الكسب... مستحبٌّ: وهو كسبُ الزائد على أَقلِّ الكفاية؛ ليواسي به فقيراً أو يَصِلَ به قريباً، وهو أَفْضَلُ من نفل العبادة، كما في تحفة الملوك ص ٣١٢؛ لأنَّه سبب يتوصل به إلى إقامة ما هو مستحب فيكون مستحباً، ولأنَّ منفعة العبادة تخصّه ومنفعة الكسب تتعدّى إلى غيره، كما في منحة السلوك ٣: ٢٩٤، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله عز وجل، أو كالذي يصوم النّهار ويقوم الليل» في صحيح البخاري ٥: ٢٠٤٧، وصحيح مسلم ٢: ٢٢٨٦، وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه قال ﷺ: «الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم ثنتان: صدقة، وصلة» في سنن الترمذي ٣: ٤٦، وحسنه، والمجتبى ٥: ٩٢، وسنن ابن ماجة١: ٥٩١، ومسند أحمد ٤: ١٧.

وطلب الكسب... حرامٌ: وهو كسبُ ما كان للتكاثر والتّفاخر وإن كان من حلّ؛ لأنَّه سببٌ يُتوصَّل به إلى إقامة ما هو مكروهٌ، فيكون مكروهاً. ينظر: منحة السلوك ٣: ٢٩٦.

(٣) وهو الحسين بن محمد بن الفضل الأَصْفَهاني، أبو القاسم، المعروف بـ(الراغب)، من مؤلفاته: «مقدمة لتفسير القرآن»، و«تحقيق البيان»، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة»، و«أفانين البلاغة»، و«الأخلاق»، و«تفضيل النشأتين وتحصيل السعادتين»، و«معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم»، (ت٥٠٢هـ). ينظر: «كشف الظنون»(١: ٣٦)، و«الأعلام»(٢: ٢٧٩).

(٤) طلب الكسب... مباحٌ: وهو كسبُ الزائدِ على ذلك للتنعّم والتجمّل، كما في تحفة الملوك

إذا لم يكن للإنسان الاستقلال بالعبادة إلا بإزالة ضروريات حياته فإزالتها واجبة؛ لأنَّ كلَّ ما لا يتمَّ الواجبُ إلاَّ به فهو واجبٌ كوجوبه، وإذا لم يكن له إلى إزالةِ ضرورياتِه سبيلٌ إلاَّ بأخذِ تَعَبٍ من النّاس، فلا بُدَّ أن يُعوِّضَهم تَعَباً له، وإلاّ كان ظالماً.

فمَن تَوَسَّع في تناول عملِ غيرِه في مأكلِه، وملبسِه، ومسكنه، وغير ذلك، فلا بُدَّ أن يعملَ لهم عملاً بقدرِ ما يتناوله منهم، وإلاَّ كان ظالماً لهم، سواء[1] قصدوا إفادته، أو لم يقصدوا...

ومَن أخذَ منهم المنافعَ ولم يعطهم نفعاً، فإنَّه لم يأتمر لله[2] تعالى في قوله عزَّ وجلَّ: **{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى}** المائدة: ٢، ولم يدخل في عمومِ قوله تعالى: **{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ}** التوبة: ٧١.

ولهذا ذُمَّ مَن يَدَّعِي التَّصوُّف[3]، فيتعطَّلُ عن المكاسب، ولا يكون له

ص٣١٢، وهو ما يواسي به الفقير ويصل به القريب للنعم والتجمل والترفه حتى يبني البنيان، وينقش الحيطان، ويشتري السيارات الفاخرة؛ لقوله جَلَّ جَلالُه: {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق} الأعراف: ٣٢ ، وقال رسول الله ﷺ: «نعم المال الصالح للمرء الصالح» في مسند أحمد ٤: ١٩٧، وصحيح ابن حبان ٨: ٦، والأدب المفرد ١: ١١٢.

(١) «سواء»: زيادة من الذريعة ١: ٢٦٨.

(٢) في ب: «الله».

(٣) في ب: «التصرف».

علمٌ يؤخذُ منه، ولا عملٌ صالحٌ في الدين يُقْتَدىٰ به، بل يَجعل همَّه عارية[1] بطنه وفرجه، فإنَّه يأخذُ منافعَ الناس، ويُضَيِّقَ عليهم معاشَهم، ولا يَرُدُّ إليهم نفعاً، فلا طائلَ في أمثالِهم[2] إلا أن يكدِّروا الماء، ويُغلوا الأسعار[3]»، انتهىٰ[4].

وقال الجُنَيْدُ[5] رحمه الله: «إذا رأيتَ الفقيرَ يطلبُ السَّماع[6]، فاعلم أنَّ فيه بقيّةٌ من البطالة، والله لا يُحِبُّ الرَّجلَ البَطَّال».

فإنّ مَن تَعَطَّلَ وتَبَطَّلَ فقد انسلخَ من الإنسانيّة، بل من الحيوانيّةِ، وصارَ من جنسِ الموتىٰ، وذلك أنَّه خَصَّ الإنسانَ بالقوىٰ الثَّلاث؛ ليَسعىٰ في فضيلتِها.

---

(١) في ب: «غادية».
(٢) في الذريعة١: ٢٦٨: «مثلهم».
(٣) أي: بسبب عدم عملهم، فتقلُّ الأيادي العاملة، وترتفع الأجور، فتغلوا الأسعار، والله أعلم.
(٤) من الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص١: ٢٦٨.
(٥) وهو الجُنَيْدُ بن محمد بن الجنيد الخزازي القواريري، قال ابن خلكان: الزاهد المشهور، كان شيخ وقته وفريد عصره، وكلامه في الحقيقة مشهور مدوَّن، ومن أقواله: أنَّه سئل عن العارف: فقال: من نطق عن سرك وأنت ساكت. وقال: مذهبنا إفراد القدم عن الحدث، وهجران الإخوان والأوطان، ونسيان ما يكون وما كان، (ت٢٩٧هـ). ينظر: «وفيات الأعيان»(١: ٣٧٣-٣٧٥)، و«مرآة الجنان»(٢: ٢٣١-٢٣٦).
(٦) أي: سماع الحديث والعلم، والمقصود به مَن يتهرّب من العمل بدعوىٰ طلب العلم، وهذا تنبيهٌ لطيفٌ من الإمام علىٰ أن يكون طلبةُ العلم عندهم همّةٌ عاليةٌ بحيث يكفوا أنفسهم مادياً، ولا يكونوا عالة علىٰ غيرهم.

فإنَّ فضيلةَ القوَّة الشَّهوانيّة تُطالبُه بالمكاسبِ التي تُمنيه.

وفضيلةَ القوَّة الغضبيّة تطالبُه بالمجاهدات[١] التي تحميه.

وفضيلةَ القوَّة الفكريّة تطالبُه بالعلوم التي تهديه.

فحقُّه أن يتأمَّلَ قوَّتَه ويسيرَ قدرَ ما يطيقه، فيَسعىٰ بحسبه لما يُفيدُه السَّعادة، ويتحقَّق أنَّ اضطرابَه سببُ وصولِه من الذُّلِّ إلىٰ العزِّ، ومن الفقرِ إلىٰ الغنىٰ، ومن الضِّعةِ إلىٰ الرِّفعة، ومن الخُمُول إلىٰ النَّباهة.

قال بزر جمهر[٢]: «مَن تَخَلَّقَ بالكسل[٣]، فَلْيَتَسَلَّ عن سعادةِ الدارين».

«وكان النبيُّ ﷺ يتعوَّذُ بالله من الكسل، ويقول: رَحِمَ الله امرءاً

---

(١) في ب: «بالمجادات».

(٢) هو بزرجمهر بن البختكان، كان وزيراً لأنوشيروان، وكان هو رجلاً حكيماً عالماً، وتنسب إليه الكثير من الحكم والأمثال، ومنها: نصحنى النصحاء ووعظنى الوعاظ شفقةً وتأديباً، فلم يعظنى شيءٌ مثل شيبى، ولا نصحنى مثل فكري. ولقد أستضأت بنور الشّمس وضوء القمر فلم استضيء بضياء أضوأ من نور قلبى. وكنت عند الأحرار والعبيد فلم يملكنى ولا قهرني غير هواي. وعاداني الأعداء فلم أري أعدىٰ عليّ من نفسى إذا جهلت. وزاحمنى المضايق فلم يزاحمنى مثل سوء الخلق. ووقعت في أبعد البعد وأطول الطول، فلم أقع علىٰ شيءٍ أضرُّ عليّ من لساني. ومشيت علىٰ الجمر ووطئت الرمضاء، فلم أر ناراً أعلىٰ حرّاً من غضبى. وتوحشت في البرية والجبال فلم أر أوحش من قرين السوء. وأكلت الطيب وشربت الهنيء، فلم أجد شيئاً ألذ من العافية والأمن. وأكلت الصبر وشربت المرّ، فلم أر شيئا أمر من الفقر. ينظر: ويكيبيديا.

(٣) الكسل: التثاقل والتراخي عمّا ينبغي مع القدرة. ينظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ١: ٢١٤.

رأى[1] من نفسه جلداً[2]»[3].

وكان أبو مسلم الخُراسانيّ[4] في مبادِئ خروجِه ينشدُ هذا البيت:

فلا أؤخِّرُ ...[5] شغلَ اليوم عن إلى غدٍ إنَّ يوم العاجزين غد

وممَّا أدركتُه أبصار البصائر، وأهدتُه ألسنةُ الأوائل إلى أسماع الأواخر، وحملتُه بطونُ الدَّفاتر من نطفِ مياه المحابر: أنَّه لم يكن في ملوكِ الأُمم ومقدّميها مَن مَلأ القلوب لرعيته فَرَقاً وَوَجلاً، وكشفَ عن وجهِ ولايتِهِ ضدَّ الغفلةِ وجلاً مثل أردشير بن بابك السَّاسَانِيّ[6] الذي كان ممَّن

---

(١) في أ: «أرى».

(٢) في ب: «تجلداً».

(٣) فعن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم» في صحيح البخاري٨: ٧٩، وصحيح مسلم٤: ٢٠٧٨.

(٤) وهو عبد الرحمن بن مسلم الخراساني، أبو مسلم، مؤسس الدولة العباسية، عاش سبعاً وثلاثين سنة، بلغ بها منّزلة عظماء العالم، حتى قال فيه المأمون: أجلُّ ملوك الأرض ثلاثة، وهم الذين قاموا بنقل الدول وتحويلها: الإسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني. قال المدائني: كان فصيحاً بالعربية والفارسية، مقداماً، داهية حازماً، راوية للشعر، لم ير ضاحكاً، ولا عبوساً، تأتيه الفتوح فلا يُعرف بشره في وجهه، وينكب فلا يرى مكتئباً، (١٠٠-١٣٧هـ). ينظر: «وفيات الأعيان»(٣: ١٤٥-١٥٥)، و«الميزان»(٤: ٣١٧)، و«الأعلام»(٤: ١١٢-١١٣).

(٥) «عن»: زيادة في ب.

(٦) هو اردشير بن بابك بن ساسان، حاكم اصطخر، ووالي فارس، أسقط الأمبروطورية البارثية، وأصبح أول الملوك الساسانيين، كان ملكاً نشيطاً ومسؤولاً عن نهوض بلاد فارس وتقوية الديانة الزرادشتية، وكان مؤسساً للسلاسة الساسانية التى استمرت لأربعة قرون، ولكن كانت حملاته ضد روما تتصف بالنجاح المحدود، والملك أردشير قدر على عمل أشياء

يُضْرَبُ به المثل، ومن كلامِه المنظوم على أحسن نظام المناسب لهذا المقام: «**شهدُ الجَهْدِ أحلى من عَسَل الكَسَل**».

يعني: أنَّ الشهدَ الحاصل بالجَهْدِ أحلى من الكَسَلِ الشَّبيه بالعَسل في ميل النَّفسِ إليه والتذاذه به.

فالأوّل: [في المآل][1][2]، وإضافتُه لملابسةِ السَّببيةِ[3].

والثّاني: في الحال، وإضافتُه من قبيل إضافة المُشبَّه به إلى المُشبَّه[4]: كلُجَيْن[5] الماء.

وممَّا نُسِج على هذا المنوال من أحاسن المقال: قول مَن قالَ: «**راحتي في جراحةِ راحتي**».

واعلم أنَّ البطالةَ تُبْطِلُ الهيئات الإنسانيّة، فإنَّ كلَّ هيئةٍ بل كلَّ عضوٍ يُترك استعمالُه يَبْطُلُ: كالعين إذا غَمِضَت، واليد إذا عُطِّلت؛

لم يستطع عملها أي فارسي لمدة طويلة كالقوة للدولة الساسانية والردود القوية والجدية أمام حكومة روما وجيوشها، (ت٢٣٧هـ). ينظر: ويكيبيديا.

(١) في أ: «بالمآل».

(٢) يعني: أنَّ عسل مجاهدة النفس والهمّة العالية والعمل الدؤوب في نهاية الأمر ومآله ألذ وأطيب من عسل الراحة والنوم والكسل.

(٣) أي: إضافة الجهد للشهد؛ لأنَّ هذا الجهد سببٌ لهذا الشَّهد.

(٤) أي: أضاف المشبه به وهو الكسل إلى المشبه وهو العسل.

(٥) اللُّجَيْن: الفضّة. ينظر: «لسان العرب»(٦: ٤٠٠٢).

ولذلك وُضعت اليد حكمات في كلِّ شيءٍ.

ولَمَّا جَعَلَ اللهُ تعالى للحيوان قوَّةَ التَّحرُّك، لم يجعل له رزقاً إلاّ بسعي ما منه؛ لئلا يتعطَّل فائدةُ ما جُعِلَ له من قوَّة التحرُّك.

ولَمَّا جَعَلَ للإنسان الفكرة، ترك من كلِّ نعمةٍ أنعمَها عليه جانباً يصلحُه هو بفكرتِه؛ لئلا يَتَعطَّلَ[1] فائدةُ الفكرة، فيكون وجودها عبثاً، وتأمَّل حالَ مريم عليها السّلام، وقد جَعَلَ لها من الرُّطب ما كفاها مؤنة الطلب، وفيه أعظمُ معجزة، فإنّه لم يخلِّها من أنَّ أمرها[2] بهزِّها، فقال تعالى: **{وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً}** مريم: ٢٥.

وقد أخذَ بعضُهم منه إشارةً إلى أنَّ الرِّزقَ من الله تعالى، ولكنَّه مسببٌ تسبباً عاديّاً بالطَّلب من العبد، ومباشرة أسبابه، فقال: ألم ترَ أنَّ الله تعالى قال لمريم عليها السلام: وهزي[3] إليك الجذع[4] تساقط الرّطب، ولو شاء أجنى الجذعَ من غيرِ هزِّه إليها، ولكن كلُّ شيءٍ له سبب.

(١) في ب: «يتبطل».

(٢) في ب: «أمرنا».

(٣) في ب: «هزي».

(٤) في ب: «بجذع».

وعن أبي الأسود الدُّؤلي[١]:

وليس الرّزقُ عن طلبٍ حثيثٍ ولكن ألقِ دَلْوكَ في الدِّلاءِ

تجيء بملئها[٢] طوراً، وطوراً تجيء[٣] بحمأةٍ وقليل ماء

وقد وردَ في الخبرِ عن خيرِ البشرِ أنَّه ﷺ قال: «**إنَّ الله تعالى يقول: يا عبدي، حرِّك يدك، أُنْزل عليك الرّزق**»[٤]، وكونُ حركةِ العبد من الله تعالىٰ لا يُنافي طلبَها منه، كيف وهو مأمورٌ بها، وحقيقةُ الأمر الطَّلب علىٰ ما حُقّقَ في موضعه[٥].

ومن هنا اتضح وجه الإشكال في جواب المسألة القائلة: لو قال رجل: الرِّزقُ من الله تعالىٰ، ولكن از بنده جنبش خواهد، وهذا[٦] شرك.

---

(١) وهو ظالم بن عمرو بن سفيان الدِّيلي، ويقال: الدُّؤلي، المشهور بأبي الأسود الدُّؤلي، تابعي صحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أول من وضع النحو، (ت٦٩هـ). ينظر: «معجم الأدباء»(١٢: ٣٤-٣٨)، و«وفيات الأعيان»(٢: ٥٣٥-٥٣٩).

(٢) في أ: «بمائها».

(٣) في أ: «ويجيء».

(٤) فعن وهب بن منبه قال: «مكتوب في التوراة: اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبت، وإذا ظلمت فاصبر فإن نصرتي لك خير من نصرتك لك، وحرِّك يدك أفتح لك باب الرزق» في مكارم الأخلاق للطبراني١: ٣٢٥.

(٥) أي: في مبحث الأمر في مبحث الدلالات في كتب أصوله الفقه، حيث قرّروا أنَّ الأمر هو طلب حقيقة الفعل. ينظر: تيسير التحرير١: ٣٥١، والتقرير والتحبير١: ٣١١.

(٦) في ب: «هذا».

وتعليلُه الذي ذكرَه صاحبُ «الخلاصة»[1]: بقوله؛ لأنَّ حركةَ العبدِ أيضاً من الله تعالى لا يُقال: إنّما قال: هذا شرك؛ لأنَّ القولِ باستعانة الله بالعبدِ المفهومِ من الكلامِ المرقومِ تشريكه[2] لله في الخلق؛ لأنا نقول: قد عرفتَ فيما سبق أنَّ له محملاً آخر لا خلل فيه أصلاً، والأصلُ فيما له وجوه: أحدُّها إلى الصواب: أن[3] لا يُقْدِمَ على التخطئة فضلاً عن التَّكفير[4]، ثمّ إنَّ التَّعليلَ موجبُه الخطأ لا الشرك.

---

(١) وهو طاهرِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الرشيد بن الحسين البُخَاريّ، افتخار الدِّين، قال: الكفوي: كان عديم النظير في زمانه، فريد أئمة الدهر شيخ الحنفية بما وراء النهر، من أعلام المجتهدين في المسائل، ومن مؤلفاته: «النصاب»، و«خزانة الواقعات»، و«خلاصة الفتاوي»، (٤٨٢ـ٥٤٢هـ). ينظر: «الفوائد البهية»(ص١٤٦)، و«الجواهر المضية»(٢: ٢٧٦)، و«تاج التراجم»(ص١٧٢).

(٢) في أ: «تشريك».

(٣) «أن»: ساقطة من أ.

(٤) نقل الطحاوي عن أصحابنا: لا يخرج الرجل من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيهّ ثم ما تيقّن أنّه ردّة يُحكم بها، وما يُشكُّ أنّه ردّة لا يحكم بها؛ إذ الإسلام الثّابت لا يزول بالشَّك مع أنّ الإسلام يعلو، وينبغي للعالم إذا رفع إليه هذا أن لا يبادر بتكفير أهل الإسلام مع أنَّه يقضي بصحة إسلام المكره، وفي الفتاوى الصغرى: الكفرُ شيءٌ عظيمٌ فلا أجعل المؤمن كافراً متى وجدت روايةً أنّه لا يكفر، اهـ، وفي الخلاصة وغيرها: إذا كان في المسألةِ وجوهٌ توجب التّكفير ووجهٌ واحدٌ يمنعه فعلى المفتي أن يميل إلى الوجه الذي يمنع التّكفير تحسيناً للظنّ بالمسلم، زاد في البزازية: إلا إذا صرّح بإرادة موجب الكفر فلا ينفعه التأويل، وفي التتارخانية: لا يكفر بالمحتمل؛ لأنّ الكفر نهاية في العقوبة فيستدعي نهاية في الجناية، ومع الاحتمال لا نهاية، اهـ، والذي تحرَّر أنّه لا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة، فعلى هذا فأكثر ألفاظ التكفير المذكورة لا يفتى بالتكفير فيها. ينظر: رد المحتار ٤: ٢٢٤.

وإيّاك أن تتوهَّم أنَّ الأمرَ الواردَ في قوله تعالىٰ: **{فتوكل على الله}** آل عمران: ١٥٩، بالتوكُّلِ الذي مرجعُه إلىٰ كِلةِ الأمرِ كلِّه إلىٰ مالكه، والتعويل علىٰ وكالته يستلزمُ الَّنهي عن التُّوسُّل بالكسب وأسبابه؛ لأنَّ التوكُّلَ[١] إسقاطُ الأسبابِ عن حيزِ الاعتدادِ بها والاعتماد عليها[٢]، [والاستظهار بادِّخار الذَّخائر لا إسقاطها عن حيزِ الإمداد علىٰ الوجه المعتاد][٣].

وقد أشارَ النَّبيُّ ﷺ: إلىٰ أنَ التَّوكُّلَ ليس التَّعطُّل[٤]، بل لا بُدَّ فيه من التوسُّلِ بنوعٍ من السَّبب، حيث قال: «**لو توكَّلتم على الله حَقَّ التَّوكُّل**

---

(١) تنوعت العبارات في بيان معنىٰ التوكّل ومنها: قال ابن مسروق: التّوكُّلُ: الاستسلام لجريان القضاء في الأحكام. قال سهل: التَّوكُّلُ: الاسترسال بين يدىٰ الله تعالىٰ. ةقال أبو عبد الله القرشىٰ: التوكّل: ترك الإيواء إلا إلىٰ الله ﷻ. وقال أبو أيوب: التوكّل: طرح البدن فىٰ العبودية وتعلّق القلب بالربوبية والطّمأنينة إلىٰ الكفاية. وقال الجنيد: حقيقة التّوكُّل: أن يكون لله تعالىٰ كما لم يكن، فيكون الله له كما لم يزل. ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٠١.

(٢) «عليها»: ساقطة من ب.

(٣) ما بين المعكوفين ساقط من ب.

أي التوكّل بعدم الاعتماد علىٰ الأسباب الدنيوية، والاعتماد علىٰ الله ﷻ، مع القيام بالأسباب علىٰ أكمل وجه، فمعنىٰ إسقاط الأسباب... أي: عدم الاعتماد عليها، ومعنىٰ: الاستظهار بادخار...أي الاعتماد علىٰ الله ﷻ، ومعنىٰ لا إسقاطها عن حيز...: أي القيام بالأسباب... والله أعلم.

(٤) في ب: «التعطيل».

لرزقتُّم كما تُرزقُ الطَّير، تغدو خماصاً، وتروحُ بطاناً»[١]، فإنَّ الطَّيرَ تُرزقُ بالطَّلبِ والسَّعي.

فإن قلت: ما تقول في قول مَن قال: الرِّزقُ مقسومٌ فلا ترحل له، والموت محتوم[٢] فلا توجل به.

ومَن قال: رزق بو برتو زتو عاشق تراست رو توكل كن ملرزان يا ودست كرتو نشتابي بيايد بردرت ور تو يشتابي دهد درد سرت.

ومَن قال: نصيبُك يصيبُك.

ومَن قال: در بي آن غله كه بيموده كشت رنجه مشو جون قلم آسوده كشت.

قلتُ: القولُ ما قالت حَذَام[٣][٤].

---

(١) فعن عمر بن الخطاب ﵁ قال ﷺ: «لو أنكم كنتم توكلون على الله حقّ توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» في سنن الترمذي٤: ٥٧٣، وقال: حسن صحيح، وسنن ابن ماجة٢: ١٣٦٤، وصحيح ابن حبان٢: ٥٠٩، ومسند أحمد١: ٣٣٢، وغيرها.

(٢) في ب: «مختوم».

(٣) هذا شطر من بيت قاله لجيم بن صعب والد حنيفة وعجل، وحذام: امرأته، وفيها يقولها، والبيت هو: إذا قالت حَذَام فَصَدِّقوها .... فإنَّ القولَ ما قالت حَذَام

ومعناه: هذه المرأة صادقة في كلِّ ما تذكره من قول، إذا قالت لكم قولاً، فاعلموا أنّه القول المعتد به الذي لا يصحّ خلافه، فيلزمكم تصديقها والتيقن بما تقول. ينظر: «شرح قطر الندى»(ص١٤).

(٤) ومعنى جوابه هنا: لا عبرة لهذا الكلام بعدما ثبت فيما سبق معنى التوكل، فلا يلتفت لهذه المقولات، وذكرها بعد العرض السابق المتيقن، كمَن يقول: القول ما قالت حَذام، يعني: نريد أن نبقى على هذا الفهم السيء التوكل رغم كل ما سبق، والله أعلم

والكلامُ المنقولُ عن فحولِ الأعلامِ لا يعارِضُ الخبرَ المرويَ عن خيرِ الأنام، «إذا جاء نهر الله بطَلَ نهرُ معقل[١]»[٢].

وإذ قد فرغنا عمَّا شرعنا فيه، فلنختم المقالة في هذه الرسالة بتفسير ما تقدَّم ذكرُه في مقامِ الاستدلال من قوله تعالىٰ: **{وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}** النجم: ٣٩ [٣] الآية[٤] علىٰ وجه يقتضيه الدِّراية، ويمضيه الرِّواية، وتحرير[٥] ما ينحلُّ به الإشكال، ويضمحلُّ القيل والقال.

ولنقدم أمامَ الكلام مقدمةً لا بُدّ من تقديمها علىٰ الشُّروعِ في تحقيقِ المقالِ في هذا المقام، وهي أنّه يجوزُ للمؤمن أن يجعَلَ ثوابَ عملِه لغيره صلاةً كان، أو صياماً، أو حجّاً، أو صدقةً، أو قراءة، أو غير ذلك عند أبي حنيفة وأصحابه، وأحمد بن حنبل، ومَن تابعهم من الأئمة[٦] المجتهدين رضي الله عنهم[٧].

(١) ونهر معقل بالبصرة، نسب إلىٰ معقل بن يسار المزني رضي الله عنه، كما في تاج العروس ٣٠: ٣٩.
(٢) هذا مثل: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، والمراد بنهر الله ما يقع عند المدّ فإنّه يطم علىٰ الأنهار كلها. ينظر: خلاصة الأثر ٢: ٢٨٠.
(٣) وقبلها: {ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ} الأنعام: ١٦٤.
(٤) «الآية»: زيادة من أ.
(٥) في أ: «وتقرير».
(٦) في ب: «أئمة».
(٧) قال الإمام العيني في منحة السلوك ٢: ٢٤١: «اعلم أَنّ الإنسانَ له أن يجعل ثواب عمله لغيره عند أَهل السنة والجماعة صلاةً كان أو صوماً أو حجّاً أو صدقة أو قراءةَ قرآن أو أَذكار

وقد رُوي في [صحيحي «البُخاريّ»][1] و«مسلم»: «**أنَّ النبيَّ ﷺ ضَحَّى بكبشين أملحين أحدُهما عن نفسِه، والآخرُ عن أمَّتِه**»[2]: أي جعل ثوابَه لهم.

وذكرَ عبدُ الحقِّ[3] صاحب «الأحكام» في «العاقبة»[4]: «رُوِيَ عن

إلى غير ذلك من جميع أنواع العبادات من البرّ يصل ذلك إلى الميت وينفعه، وقالت المعتزلة: ليس له ذلك، ولا يَصِل إليه ولا ينفعه...»، فعن ابن عمر ﵁ قال ﷺ: «إنّ أَبرّ البرّ أن يصل الرجلُ أهل ود أبيه» في سنن الترمذي ٤: ٣١٣، وصححه، ومسند أحمد ٢: ٩٧، وصحيح ابن حبان٢: ١٧٣، وعن معقل بن يسار ﵁ قال ﷺ: «اقرءوا على موتاكم يس» في سنن أبي داود ٢: ٢٠٨، ومسند أحمد ٥: ٢٦، وصحيح ابن حبان ٧: ٢٦٩، وسنن النسائي الكبرى ٦: ٢٦٥، وسنن البيهقي الكبير ٣: ٣٨٣، والمعجم الكبير ٢٠: ٢١٩، ومسند الطيالسي ١: ١٢٦.

(١) في ب: «الصحيحين للبخاري».

(٢) فعن أنس ﵁، قال: «ضحى النبي ﷺ بكبشين أملحين أقرنين، ذبحهما بيده، وسمى وكبر، ووضع رجله على صفاحهما» في البخاري٧: ١٠٢، وصحيح مسلم٣: ١٥٥٦، وغيرهما، وعن أبي هريرة ﵁: «إنَّ النبي ﷺ كان إذا أراد أن يضحي اشترى كبشين عظيمين سمينين أملحين أقرنين موجوأين فيذبح أحدهما عن أمته ممن شهد بالتوحيد وشهد له بالبلاغ، وذبح الآخر عن محمد ﷺ وآل محمد» في مسند أحمد ٦: ٢٢٥، والمستدرك ٢: ٤٢٥، وصححه،وسنن الدارقطني ٤: ٢٨٥، والمعجم الكبير١: ٣١١، والمعجم الأوسط٢: ٢٥٠، ومسند أبي يعلى٣: ١١، وغيرها، قال العيني في المنحة٢: ٢٤١: أي جعل ثوابه لأمته.

(٣) وهو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأَزْدِيّ الإشْبِيلِيّ، أبو محمد، المعروف بـ(ابن الخرَّاط)، كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلله ورجاله، من مؤلفاته: «الأحكام الشرعية الكبرى»، و«الأحكام الصغرى»، و«الأحكام الوسطى»، و«الجامع الكبير»، و«المعتل في الحديث»، (٥١٠-٥٨١هـ). ينظر: «تهذيب الأسماء»(١: ٢٩٢)، و«العبر»(٤: ٢٤٣).

(٤) العاقبة في ذكر الموت ص٢١٦.

النّبيّ ﷺ أنَّه قال: «**الميِّتُ [في قبره]**[١] **كالغريقِ ينتظرُ دعوةً تلحقه**[٢] **من ابنه، أو أخيه، أو صديق له، فإذا لحقَته كان أحبُّ إليه من الدنيا وما فيها**»[٣].

وروىٰ الدَّارَقُطْنِيُّ[٤] عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّ النّبي ﷺ، قال: «مَن مَرَّ علىٰ المقابر، فقرأ: [**{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}** الإخلاص: ١][٥] أحدَ عشرَ مرّةً، ثمَّ وهبَ أجرَها للأمواتِ أُعْطِيَ من الأجرِ بعددِ الأموات»[٦].

---

(١) غير مذكور في العاقبة ص٢١٦.

(٢) في ب: «يلحقه».

(٣) فعن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال ﷺ: «ما الميت في القبر إلا كالغريق المتغوث، ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أم أو أخ أو صديق، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، وإنَّ الله عز وجل ليدخل علىٰ أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثال الجبال، وإنَّ هدية الأحياء إلىٰ الأموات الاستغفار لهم» في شعب الإيمان١٠: ٣٠٠، قال أبو علي الحافظ: وهذا حديث غريب من حديث عبد الله بن المبارك، لم يقع عند أهل خراسان، ولم أكتبه إلا من هذا الشيخ، قال الإمام أحمد: قد رواه ببعض معناه محمد بن خزيمة البصري أبو بكر، عن محمد بن أبي عياش، عن ابن المبارك، وابن أبي عياش، ينفرد به، والله أعلم

(٤) وهو علي بن عمر بن أحمد الدَّارَقُطْنِيّ البَغْدَادِيّ الشَّافِعِيّ، أبو الحسن. قال أبو الطيب الطَبَري: الدَّارَقُطْنِيّ أمير المؤمنين في الحديث. من مؤلفاته: «السنن الكبرىٰ»، و«المختلف والمؤتلف»، و«الأفراد»، (٣٠٦-٣٨٥هـ). ينظر: «روض المناظر»(ص١٨٤-١٨٥)، و«الكامل في التاريخ»(٧: ١٧٤)، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ»(٢: ٣١٢)، و«الأنساب»(٢: ٤٣٧-٤٣٩)، و«الرسالة المستطرفة»(ص١٨-١٩).

(٥) في أ: «الإخلاص».

(٦) فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ﷺ: «مَن مَرَّ علىٰ المقابر وقرأ: {قل هو الله أحد}

وروى الحافظُ[1] في «شرح السُّنَّة»[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال: «يموتُ الرّجلُ ويُدِّعَ له[3]، فترفعُ له درجتُه، فيقول: يا ربّ ما هذا؟ فيقول: استغفار ولدكَ لك»[4].

وقال الله تعالى: **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ}** التوبة: ١١٣، ويُفْهَمُ من هذا أنَّ استغفارَهم للمؤمنين مفيد.

وقوله تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ}** الحشر: ١٠، دلَّ على أنَّ هذا الدُّعاءَ ينفعُهم.

الإخلاص: ١ إحدى عشرة مَرّة ثمّ وهب أَجره للأموات أعطي من الأجر بعدد الأموات) في فضائل سورة الإخلاص ص١٠٢، والتذكرة للقرطبي ١: ٨٤، وينظر: تحفة الأحوذي ٣: ٢٧٥، وكنز العمال ١٥: ١٠١٨.

(١) وهو هبة الله بن حسن بن منصور الطبري الرازي اللالَّكائي الشافعي، أبو القاسم، من مؤلفاته: «مذاهب أهل السنة»، و« شرح أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة»، و«رجال الصحابة»، و«السنن»، (ت٤١٨هـ). ينظر: «طبقات الأسنوي»(٢: ١٩١)، و«العبر»(٣: ١٣٠)، و«معجم المؤلفين»(٤: ٥٤).

(٢) لعله: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٦: ١٢٢٦؛ لأنَّه رواه فيه.

(٣) في ب: «ولداً».

(٤) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «إنّ الرّجل لترفع درجتُه في الجنة فيقول: أنى هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك» في سنن ابن ماجة٢: ١٢٠٧، ومسند أحمد١٦: ٣٥٦، والمعجم الأوسط٥: ٢١٠، وغيرها.

وأنَّ النبيَّ ﷺ شفيعٌ مشفعٌ[١] يوم الحشر[٢]، ينتفعُ بشفاعته عصاةُ المؤمنين.

وأنَّ العلماءَ قد أجمعوا على أنَّ المسلمَ يؤجرُ على الأمراضِ .... والأعراضِ حتى الشَّوكةَ يُشاكُها[٣] يرفعُ له بها درجتُه[٤] ويحطُّ بها عنه خطيئتُه[٥].

وإذا تقرَّرَ هذا، فنقول: لا يجوزُ أن يكون معنى القول المذكور[٦] ما هو الظَّاهرُ[٧] المتبادرُ إلى الفهمِ من أنَّه لا ينفعُ الإنسانَ إلاَّ عملَه كما لا يضرُّه إلاَّ عملَه؛ لأنَّه منقوضٌ من وجوه، وقد نبهتُ عليها آنفاً، بل المعنى والله أعلم: لا أجر للإنسان إلاّ أجرَ عمله كما لا وزر له إلاّ وزر

---

(١) والأحاديث في ذلك كثيرة، ومنها: عن أنس رضي الله عنه قال ﷺ: «إذا كان يوم القيامة شفعت، فقلت: يا رب، أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون، ثم أقول أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء» في صحيح البخاري٩: ١٤٦.

(٢) في ب: «المحشر».

(٣) عن عائشة رضي الله عنها، قال ﷺ: «ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها» في صحيح البخاري٧: ١١٤، وصحيح مسلم٤: ١٩٩٢، وغيرها.

(٤) في ب: «درجة».

(٥) في ب: «خطيئة».

(٦) أي معنى الآية الكريمة: {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} النجم: ٣٩.

(٧) في ب: «الظاهر منه».

عمله، على تقدير المضاف[١]، أو على طريقة المجاز، وما يصل[٢] إلى الإنسان في الصُّورة المذكورة، فليس من قبيل الأجر على العمل، فلا يَرِدُ النَّقْضُ بها.

وأمّا الذي ذكرَه الإمامُ البَيضاويُّ[٣] في «تفسيره»

بقوله: «أي[٤] كما لا يؤاخذ[٥] أحدٌ[٦] بذنبِ الغيرِ لا يثابُ بفعله، و[ما جاء][٧] في الأخبارِ من[٨] أنَّ الصَّدقةَ والحجَّ ينفعان الميِّت، فلكون النَّاوي

---

(١) أي قدَّرنا في فهمِ الآية المضاف، وهو الأجر أو الوزر، وممكن أن يفهم هذا الأجر أو الوزر بطريق المجاز.

(٢) في ب: «يصلح».

(٣) وهو عبد الله بن عمر بن محمد الشِّيرَازِيّ البَيْضَاوِيّ، أبو سعيد أو أبو الخير، ناصر الدين، والبَيْضَاويّ نسبة إلى مدينة البيضاء بفارس من عمل شيراز، من مؤلفاته: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، و«طوالع الأنوار»، و«منهاج الوصول إلى علم الأصول»، و«لب اللباب في علم الإعراب»، و«الغاية القصوى في دراية الفتوى»، اختصر فيه «الوسيط»، (ت٦٨٥). ينظر: «طبقات الأسنوي»(١: ١٣٦)، و«كشف الظنون»(١: ١٨٦)، و«معجم المؤلفين»(٢: ٢٦٦-٢٦٧).

(٤) «أي»: زيادة من ب.

(٥) كما في تفسير البيضاوي وفي النسخ: «يؤخذ».

(٦) «أحدٌ»: زيادة من تفسير اليضاوي٥: ١٦١.

(٧) ما بين المعكوفين زيادة من تفسير البيضاوي ٥: ١٦١.

(٨) «من»: زيادة من تفسير اليضاوي٥: ١٦١.

له[١] كالنَّائب عنه»[٢].

فمَعَ ما في تعليلِه[٣] من الضَّعفِ الظاهرِ لا يندفعُ به الإشـكالُ[٤] بحذافيرِه كما لا يخفى[٥].

[تمَّ الرَّسالة بعون وليّ العناية][٦].

* * *

---

(١) أي: لما نواه له صار بمنزلة الوكيل عنه القائم مقامه شرعاً، فكأنَّه بسعيه. ينظر: «حاشية الخفاجي»(٨: ١١٦).

(٢) انتهى كلام البيضاوي في «تفسيره»(٨: ١١٦).

(٣) أي: تعليل البيضاوي.

(٤) أي: الإشكال الذي تفيده عبارته: كما لا يؤخذ بذنب الغير لا يثاب بفعله.

(٥) أي: ما أورده البيضاويّ من تقدير للآية لا يدفع الإشكال السّابق، وكذلك تعليله بأنَّ الناوي نائب عنه ضعيف، بخلاف التقدير الذي سبق من المصنف، والله أعلم.

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من أ.

المراجع:

١. الآداب لأحمد بن الحسين الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت٤٥٨هـ)، ت: أبو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٢. أدب الدنيا والدين: لأبي الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار مكتبة الحياة، بدون طبعة، ١٩٨٦م.
٣. الأدب المفرد: لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
٤. الأعلام: لخير الدين الزَّركلي، بدون دار طبع، وتاريخ طبع.
٥. الأنساب: لأبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السَّمْعَاني (ت٥٦٢هـ)، ت: عبد الله بن عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٩٨٨هـ.
٦. بدائع الفوائد: لابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، مجمع الفقه الإسلامي بجدة.
٧. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية: لأبي سعيد الخادمي، دار إحياء الكتب العربية.

٨. تاج التراجم: لأبي الفداء قاسم بن قُطْلُوبُغَا (ت٨٧٩هـ)، ت: محمد خير رمضان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس: للسيد محمد مرتضىٰ الزَّبِيدِيّ (ت١٢٠٥هـ)، طبعة الكويت.

١٠. تاريخ آداب اللغة العربية: لجرجي زيدان، ت: الدكتور شوقي ضيف، دار الهلال.

١١. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي: لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (١٢٨٣-١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢. تحفة الملوك: لمحمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٦هـ)، ت: الدكتور عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط١، ١٩٩٧م، وأيضاً: بتحقيق: الدكتور صلاح أبو الحاج، دار الفاروق، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

١٣. تخريج أحاديث الإحياء للعراقي وابن السبكي والزبيدي: جمع محمود الحداد، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

١٤. التذكرة بأحوال الموتىٰ وأمور الآخرة: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي شمس الدين (ت٦٧١هـ)، ت: الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٥ هـ.

١٥. التعرف لمذهب أهل التصوف: لأبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت: ٣٨٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

١٦. تفسير البيضاوي: لعبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، ت: عبد القادر حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ.

١٧. تقريب التهذيب: لأحمد بن علي ابن حَجَر العَسْقَلاني (ت٨٥٢هـ)، ت: عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٩٦مـ.

١٨. التقرير والتحبير شرح التحرير: لأبي عبد الله، محمد بن محمد الحَلَبِيّ الحنفي شمس الدين المعروف بـ(ابن أمير الحاج)(٨٢٥-٨٧٩هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦مـ.

١٩. تهذيب الأسماء واللغات: لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النَّوَوِيّ الشَّافِعِيّ(٦٣١-٦٧٦هـ)، المطبعة المنيرية.

٢٠. تيسير التحرير: لمحمد أمين بن محمود البخاري المعروف بأمير بادشاه الحنفي (ت: ٩٧٢هـ)، دار الفكر – بيروت.

٢١. التيسير بشرح الجامع الصغير: لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٢٢. الجواهر المضية في طبقات الحنفية: لعبد القادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي (ت٧٧٥هـ)، ت: عبد الفتاح الحلو، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.
٢٣. حاشية العطار على شرح المحلي على جمع الجوامع: لحسن بن محمد بن محمود العطار (ت٥٦٩هـ)، دار الكتب العلمية.
٢٤. خزانة التراث: فهرس مخطوطات قام بإصداره مركز الملك فيصل.
٢٥. الذريعة إلى مكارم الشريعة: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، ت: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م.
٢٦. ردّ المحتار على الدر المختار: لمحمد أمين بن عمر ابن عابدين الحنفي (١١٩٨-١٢٥٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٧. رسائل ابن كمال لشمس الدين أحمد بن سليمان، المعروف بابن كمال باشا، (ت٩٤٠هـ)، الناشر: أحمد جودت، مطبعة إقدار بدار الخلافة العلية، ١٣١٦هـ.
٢٨. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: لمحمد بن جعفر الكتاني، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
٢٩. روض المناظر في علم الأوائل والأَواخر: لمحمد بن محمد ابن الشحنة (٨١٥هـ)، ت: سيد محمد مهنى، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٠. سنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٢٠٧-٢٧٣هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٣١. سنن أبي داود: لسليمان بن أشعث السجستاني (٢٠٢-٢٧٥هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٣٢. سنن البَيْهَقِي الكبير: لأحمد بن الحسين بن علي البَيْهَقِي (ت٤٥٨هـ)، ت: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٣٣. سنن الترمذي: لمحمد بن عيسىٰ الترمذي (٢٠٩-٢٧٩هـ)، ت: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٤. سنن النَّسَائيّ الكبرىٰ: لأحمد بن شعيب النَّسَائِي (ت٣٠٣هـ)، ت: الدكتور عبد الغفار البنداوي وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٣٥. شرح قطر الندىٰ: لعبد الله بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مصورة عن مطبعة السعادة بمصر، ط١١، ١٣٨٣هـ.

٣٦. شعب الإيمان: لأبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، ت: محمد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٣٧. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية: لطاشكبرىٰ زاده (ت٩٦٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م.

٣٨.صحيح ابن حبَّان بترتيب ابن بلبان: لمحمد بن حِبَّان التميمي (٣٥٤هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
٣٩.صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البُخَارِيّ (١٩٤-٢٥٦هـ)، ت: الدكتور مصطفى البغا، دار ابن كثير واليمامة، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٤٠. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القُشَيْرِيّ النَّيْسَابوريّ (ت٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤١. الطبقات السنية في تراجم الحنفية: لتقي الدين بن عبد القادر التميمي، ت: الدكتور عبد الفتاح الحلو، دار الرفاعي، الرياض، ١٤٠٣هـ.
٤٢. طبقات الشافعية الكبرى: لعبد الوهاب بن علي السبكي الشافعي تاج الدين (٧٢٧-٧٧١هـ)، دار المعرفة، ط٢.
٤٣. طبقات المفسرين: لمحمد بن علي الداودي (ت٩٤٥هـ)، ت: علي محمد، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٣٩٢هـ.
٤٤. طريق الهجرتين وباب السعادتين: لابن قيم الجوزية، ت: محمد أجمل الإصلاحي، وزائد بن أحمد، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، ١٤٢٩.

٤٥. العبر في خبر من غبر: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذَّهَبِي شمس الدين (٦٧٣-٧٤٨هـ)، ت: الدكتور صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٦٣مـ.

٤٦. العقود الدرية في تنقيح الفتاوى الحامدية: لمحمد أمين بن عمر ابن عابدين الحنفي (١١٩٨-١٢٥٢هـ)، المطبعة الميرية ببولاق، مصر، ١٣٠٠هـ.

٤٧. عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: لمحمد بن عمر الخفاجي الحنفي، دار صادر.

٤٨. غنية ذوي الأحكام في بغية درر الحكام (الشرنبلالية): لحسن بن عمار بن علي الشرنبلالي (ت١٠٦٩هـ)، در سعادت، ١٣٠٨هـ، وأيضاً: طبعة الشركة الصحفية العثمانية، ١٣١٠هـ.

٤٩. الفروع: لمحمد بن مفلح المقدسي (٧١٧-٧٦٢هـ)، تحقيق: حازم القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، وأيضاً: طبعة عالم الكتب.

٥٠. الفوائد البهية في تراجم الحنفية: لعبد الحي الكنوي (١٢٦٤-٢٣٠٤هـ)، ت: أحمد الزعبي، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، وأيضاً: طبعة السعادة، مصر، ط١، ١٣٢٤هـ.

٥١. الكامل في التاريخ: لعلي بن محمد ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي.

٥٢. كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار: لمحمود بن سليمان الكفوي توفي نحو (٩٩٠هـ)، من مخطوطات المكتبة القادرية، بغداد.

٥٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني الحنفي (١٠١٧-١٠٦٧)، دار الفكر.

٥٤. الكمال بن الهمام وتحقيقه رسالته إعراب قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان في اللسان» ت: أ.د. قحطان الدوري، كتاب ناشرون، لبنان، ط٢، ١٤٣٢هـ.

٥٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.

٥٦. لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم الإفريقي المصري المشهور بـ(ابن منظور)(ت٧١١هـ)، ت: عبّد الله الكبير ومحمد حسب الله وهاشم الشاذلي، دار المعارف.

٥٧. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: لعبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السَلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي زين الدين (ت٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٥٨. المبسوط: لأبي بكر محمد بن أبي سهل السرخسي توفى بحدود (٥٠٠هـ)، ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت.

٥٩. المجتبى من السنن: لأبي عبد الله أحمد بن شعيب النسائي (٢١٥-٣٠٣)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٦٠. مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر: لعبدِ الرَّحمنِ بنِ محمد الرُّومي المعروف بـ(شيخِ زاده)(ت ١٠٧٨هـ)، دار الطباعة العامرة، ١٣١٦هـ.

٦١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية، د ار الكتاب العربي، ١٩٩٦م.

٦٢. مرآة الجنان وعبر اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان: لعبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٩٧٠م.

٦٣. المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، ت: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٦٤. مسند أبي داود الطيالسي: لسليمان بن داود (ت٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٦٥. مسند أبي يعلىٰ: لأحمد بن علي أبي يعلىٰ الموصلي (ت٣٠٧هـ)، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦٦. مسند أحمد بن حنبل: لأحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.

٦٧. مسند الشهاب: لأبي عبد الله محمد بن سلامة القُضَاعي (ت٤٥٤هـ)، ت: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٦٨. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، المطبعة الأميرية، ط٢، ١٩٠٩م.

٦٩. معجم الأدباء: لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي البغدادي (ت٦٢٦هـ)، مكتبة عيسىٰ البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة.

٧٠. المعجم الأوسط: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، ت: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ.

٧١. المعجم الكبير: لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبَرَاني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، ت: حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٧٢. معجم المؤلفين: لعمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٧٣. المعجم الوسيط: للدكتور إبرهيم أنيس والدكتور عبد الحليم متنصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٧٤. المغرب في ترتيب المعرب: لناصر بن عبد السيد المُطَرِّزِيّ (٦١٦هـ)، دار الكتاب العربي.

٧٥. منحة الخالق على البحر الرائق: لمحمد أمين بن عمر ابن عابدين الحنفي (١١٩٨-١٢٥٢هـ)، ط٢، دار المعرفة.

٧٦. منحة السلوك في شرح تحفة الملوك: لأبي محمد محمود بن أحمد العَيْنِي بدر الدين (٧٦٢-٨٥٥هـ)، ت: محمد فاروق البدري، بإشراف: د. محيي هلال السرحان، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٤٢١هـ.

٧٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذَّهَبِي شمس الدين (٦٧٣-٧٤٨هـ)، ت: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٧٨. هدية العارفين: لإسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ)، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

٧٩. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس أحمد بن محمد ابن خَلكان (٦٠٨-٦٨١هـ)، ت: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

٨٠. ويكيبيديا http://ar.wikipedia.org/wiki.

فهرس الموضوعات: